٣٨

مؤسسة دار الحكمة للثقافة والعلوم الإسلامية

مركز مدرك للتنمية والدراسات الإسلامية

كلمتان (التقوى والأخلاق)

الشيخ كريم موسى عزيز الموسى

1445هـ - 2024م

كلمتان: التقوى والأخلاق

التقوى والأخلاق هما جوهر ثقافة أهل البيت (عليهم السلام)، حيث يمثلان أساس الحياة الإنسانية السليمة وقاعدة العلاقات الاجتماعية المتينة. فقد حرص أهل البيت على غرس القيم الأخلاقية العالية كالصدق، الأمانة، والتواضع، مؤكدين أن التقوى هي طريق النجاة في الدنيا والآخرة. ومن خلال أقوالهم وأفعالهم، قدّموا نموذجًا يُحتذى به في التعامل مع الآخرين بالرحمة والعدل. لذا، تُعد ثقافتهم مصدر إلهام لتأسيس مجتمع قائم على الفضيلة والتقوى.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصــلاة والســلام على نبينا محمد وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين، وبعد:

فلاح الانســان في الدنيا والآخرة في تقوى الله عز وجل، يقول أمير المؤمنين (عليه السلام): (التقوى مفتاح الصلاح)، إذ تتجلى التقوى في الخشية من الله تعالى واتباع أوامره والابتعاد عن نواهيه، وهذا بدوره يعكس أن هذا الانسان قد راقب نفسه وبالتالي يكتسب الفضائل التي تقربه لفعل الخير وتبعده عن الشر.

وبفعل الخير واجتناب الشر- يتميز الانسان في تفاعلاته اليومية مع الآخرين وتصبح لديه قواعد وسلوكيات أساسية يسير على ضوئها وهذه القواعد والسلوكيات هي الاخلاق. وللأخلاق الحميدة دور فعال في حياة الفرد والمجتمع، تجعله مجتمعاً مترابطاً يتصــف بالأمانة والصدق والرحمة.

وهذا ما سنتناوله ان شاء الله في كلمتين: التقوى والأخلاق.

وقد جاء في الكلمة الأولى:

١. تعريف التقوى لغةً واصطلاحاً في المفهوم الإسلامي.
٢. التقوى في المعنى القرآني والأحاديث الشريفة.
٣. بيان عوامل التقوى.
٤. التقوى مفهوم إيجابي وليس سلبي.

أما في الكلمة الثانية: الاخلاق وجاء فيها:

١. تعريف الاخلاق وأهميتها.
٢. الاخلاق تعني التعامل الصادق الصحيح وبيان هذا في محورين:

الأول: التعامل الصادق مع الاسرة،

والثاني: التعامل الصادق مع المجتمع.

كلمتان التقوى والأخلاق والخلق الحسن

كلمتان هما من مفاتيح الفلاح في الدنيا والآخرة.

الكلمة الأولى: التقوى

التقوى في اللغة: اســم مأخوذ من الفعل وقاه وقياً ووقاية أي صــانه، وقد يأتي بمعنى الحفظ والحذر، والاسم التقوى أصله تقيا قلبوه للفرق بين الاسم والصفة كخزيا وصديا، وقوله تعالى هو أهل التقوى أي أهلٌ أن يتقى عقابه.

وقد وردت كلمة التقوى في القرآن الكريم بمعناها اللغوي: ((**وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ**))[١].

وقال تعال: ((**فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا**))[٢].

وقال تعالى: ((**سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**))[٣].

فقد وردت كلمة الوقاية في هذه الآيات المباركة بمعناها اللغوي وهو الصيانة أو الحفظ.

أما التقوى في الاصطلاح الديني: هي كف النفس عن ما حرم الله تعالى على الانسان. وقيل التقوى: حفظ النفس حفظاً تاماً من الوقوع في المحضــورة بترك الشــبهات فقد ورد عن النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال: (حلالٌ بيّن وحرامٌ بيّن وشبهات بين ذلك فمن ترك الشــبهات نجا من المحرمات ومن أخذ بالشــبهات ارتكب المحرمات وهلك من حيث لا يعلم)[٤].

وهناك تعاريف أخرى للتقوى لكن كلها تصب في مصبٍ واحد.

المعنى القرآني:

كثيراً ما وردت كلمة التقوى في القرآن الكريم واشــتملت على معان مختلفة بحســب القرائن المحيطة باللفظ والظروف التي انزلت فيها وأهم هذه المعاني:

---

(١) سورة النحل، الآية: ٨١. وجاء معنى سرابيل القميص من القطن والكتان يحفظكم من الحر.
(٢) سورة الانسان، الآية: ١١.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ٩١.
(٤) كتاب الكافي، باب اختلاف الحديث – المكتبة الرقمية شيعة.

١- مقياساً للقرب من الله تعالى حيث قال عزّ وجل: ((**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**))[٥].

وفي وصية النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لأبي ذر الغفاري (رض) (يا أبا ذر انَّ الله تعالى لا ينظر الى صـــوركم ولا الى اموالكم ولكن ينظر الى قلوبكم وأعمالكم) يا أبا ذر! التقوى ها هنا وأشار الى صورة – مقياس التفاضل عند الله تعالى هو التقوى.

٢- طاعة الله وتوحيده وعبادته، كما في قوله تعالى: ((**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ**))[٦].

٣- خشـــية الله وهيبته، كما في قوله تعالى: ((**وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ**))[٧]. وقوله تعالى: ((**وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ (*) هَـٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ (*) مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَـٰنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ**))[٨].

وهذه الخشـــية والهيبة أعظم دافع داخلي ووازع نفسي يردع الانســـان عن ارتكاب المعاصي في السر والعلن، ولذلك الخشـــية هي أصـــل الطاعات والحاجز القوي عن الانحرافات فهي بمنزلة تقويم سلوك المؤمن وتبعده عن الهوى والظلال، وكنتيجة طبيعية انَّ النفوس المؤمنة التي يخالجها الخوف من الله تعالى تزكوا تلك النفوس وتتســـامى عن التردي في الرذائل فتتنزه عن الذنوب، كما جاء في قوله تعالى: ((**وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُـــولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَـٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ**))[٩].

وبهذا يتضح انَّ التقوى هي عبارة عن جهاز الكبح الداخلي الذي يصون الانسان أمام طغيان الشهوات، وقد وصف أمير المؤمنين (ع) التقوى بـــ(الحصن) الذي يحمي الانسان من الاخطار، كما أنَّ العسكر يجعلون لهم ساتراً حصناً أمام معسكرهم تحسباً لهجمات العدو، كذلك الانسان المؤمن لا بدّ له من حصن يحميه من طغيان الشهوات ووسواس الشيطان.

---

(٥) سورة الحجرات، الآية: ١٣.
١- سورة آل عمران، الآية: ١٠٢.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٤١.
(٣) سورة ق، الآيات ٣١ – ٣٣.
(٤) سورة النور، الآية: ٥٢.

يقول أمير المؤمنين (عليه السلام): (اعلموا عباد الله انَّ التقوى حصن عزيز).

فبالتقوى يحتمي الانســـان من مثلث الابتلاء: الهوى من داخل النفس، والفتن من خارج النفس[١٠]، والشيطان الذي يسعى بين الاهواء والفتن يزين الفتن للأهواء تجاه الفتن، وهذه الأمور الثلاثة هي أخطر مثلث يواجه الانسان، وعند هذا المثلث يسقط ناسٌ كثير.

فإذا تحصن الانسان بحصن التقوى حفظته التقوى من السقوط في الذنوب والمعاصي.

يقول أمير المؤمنين (عليه السلام): (التقوى حصن المؤمن)، (التقوى حرزٌ لمن عمل بها)، (منع حصون الدين التقوى)، (الى والى التقوى، فإنه جُنّة منيعة من لجأ إليها حصّنه، ومن اعتصم بها عصمته).

فلنتأمل في هذه الكلمات العلوية المباركة في تعريف التقوى: جُنّة – الحرز – المنيع – الحصن، مواجهة عوامل السقوط.

فالتقوى هي حالة من ضـــبط الانســـان وحفظه عند حدود الله وعدم تجاوزها، وهي (التقوى) مفتاح كل خير، حيث يقول أمير المؤمنين (عليه الســـلام): (إنَّ تقوى الله مفتاح ســـداد وذخيرة معاد، وعتق من كل ملكه، ونجاة من كل هلكة – بها ينجو الهارب، وتنجح المطالب، وتنال الرغاب).

عوامل التقوى:

ان أهم العوامل التي تحفظ الانســـان عند حدود الله تعالى وتكفّه عن تجاوز الحدود هي **(المراقبة والذكر):**

[٥] عيون الحكم والمواعظ، المكتبة الإلكترونية.

١- المراقبة:

آفة الانسان في الدنيا الغفلة وهي ام كثير من مصائب الانسان والشيطان يستغل فرصة غفلة الانسان فيوقع الانسان في مهالك الهوى والفتن.

قال تعالى في كتابه العزيز: ((**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**))[١١].

ويقول بعض العلماء: إن قوله تعالى: (وَلْتَنظُرْ) يُبيّن لنا مفهوم المراقبة على مستوى العمل والسلوك.

وحينما نلقي نظر الى الروايات الشريفة نجد أنَّ المراقبة من أهم أخلاق المؤمنين، فيقول أمير المؤمنين (عليه السلام): (اجعل من نفسك على نفسك رقيباً)[١٢].

وعن الامام الرضا(عليه السلام): (ليس من شيعتنا من خلا ثم لم يرعَ قلبه)[١٣]. ورعي القلب معناه حفظه وملاحظته لكي لا يقع في الخطأ.

فالمراقبة يقف الانسان على أخطائه وعيوبه فيتوب منها ويصححها، أما من لم يراقب نفسه وغفل عنها فسيقع في كثير من الأخطاء والمعاصي من حيث لا يدري، فلنجرب أن نراقب أنفسنا ليوم واحد ونكتب ما يصدر منا فسنجد العجب.

المراقبة خُلق ضروري في كل الأمور، ما دام الانسان عرضة للخطأ في أفكاره وأقواله وأفعاله فعليه أن يكون دائماً في المراقبة.

يقول الامام الصادق (عليه السلام): (من رعى قلبه عن الغفلة ونفسه عن الشهوة وعقله عن الجهل فقد دخل في ديوان المنتبهين، ثم من رعى عمله عن الهوى ودينه عن البدعة وماله عن الحرام فهو في جملة الصالحين)[١٤].

---

(١) سورة الحشر، الآية: ١٨.
(١) ميزان الحكمة، مادة المراقبة.
(٢) الاخلاق في القرآن، ج١.
(٣) الاخلاق في القرآن، ص٢١٨.

كيف تتم مراقبة النفس:

مراقبة النفس هي عملية سـهلة لا تحتاج الى جهد كبير واعتزال عن الناس، بل هي توجه الانسـان الى نفسـه والانتباه الى ما يصـدر منه.. "سـواء كان قولاً أو فعلاً" كحال الذي يقف على حبلٍ عالٍ ويراقب عدوه، أو مدير الدائرة الذي يجعل في دائرته كامرة مراقبة ويراقب موظفيه أثناء العمل.

والعجيب في الانسـان أنه يسـتطيع وبكل سـهولة أن يراقب الناس ويحكم على أفعالهم وأقوالهم، ولكنه لا يجد ذلك في نفسه.

٢- الذكر:

ذكر الله يمنح الانسـان قدرة عالية على ضـبط النفس، فإن حقيقة التقوى هي المقاومة النفسية والضبط.. وهذه المقاومة والطاقة العالية يكتسبها الانسان من ذكر الله تعالى كما في قوله عز وجل: ((**أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**))[١٥].

فالقلوب التي دخلها ذكر الله تعالى آمنة وذلك أنَّك إذا عرفت أن عليك رباً سـيداً إذا أنعم عليك أراد منك الشـكر وإذا ابتلاك جازاك بالأجر والثواب قلبك ليطمئن، ولم يكن كالقلب القلق الذي تخرجه النعمة الى الافراط والبلية الى التفريط، ولذا كان سـيد الشـهداء الامام الحسين (عليه السلام) في يوم عاشوراء عندما اثخنته الجراح.

ثم ودع ثانياً أهل بيته وأمرهم بالصـبر ووعدهم بالثواب والاجر وقال لهم: (اسـتعدوا للبلاء واعلموا ان الله حافظكم وحاميكم وسـينجيكم من شرّ الاعداء ويجعل عاقبة أمركم الى خير ويعذب اعاديكم بأنواع البلاء ويعوضـكم عن هذه البلية بأنواع النعم والكرامة، فلا تشـكوا ولا تقولوا بألسنتكم ما يُنقص من قدركم)[١٦].

لاحظوا عمق اطمئنان قلب الامام الحسـين (عليه السـلام) لان ما يلاقيه من بلاء وامتحان هو في سبيل الله تعالى والله ناظر اليه وشاهد فكان مطمئناً بالمصير والعاقبة.

---

[١] سورة الرعد، الآية: ٢٨.
[٢] موسوعة كلمات الامام الحسين (ع).

وعن الحارث قال: قال لي علي (عليه السلام): ألا أعلمك دعاء علمنيه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقلتُ: بلى قال: اللهم افتح مسامع قلبي لذكرك وارزقني طاعتك وطاعة رسولك وعملاً بكتابك[١٧].

لذكر الله تعالى ثمرات كثيرة ذكرتها الروايات والأحاديث الواردة عن بيت العصمة (عليهم السلام) منها:

١. الذكر مفتاح الخير، عن أمير المؤمنين (عليه السلام) يقول: (منْ عمر قلبهُ بدوام الذكر حسنت أعماله في اليسر والجهر)[١٨].
٢. الذكر مطردة الشيطان، عن أمير المؤمنين (عليه السلام) يقول: (ذكر الله مطردة للشيطان)[١٩].

التقوى مفهوم إيجابي:

يوجد فهم خاطئ عند كثير من الناس لمفهوم "التقوى".

يفهمون ان التقوى تعني عزل المتقين في صوامع العبادة بعيداً عن خضم الحياة والصراعات الكرية والاجتماعية.

وقد ساعد على هذا الفهم الخاطئ هو غزو موجة من الأفكار والمفاهيم المنحرفة شوهت ذهنية كثير من المسلمين وبعضهم حتى المتدينين فأعطتهم رؤية ناقصة جعلتهم يفسرون أغلب المفاهيم الإسلامية تفسيرات انهزامية خاطئة لا علاقة لها بمفاهيم الإسلام ومثلُهُ السامية.

وساعد على انتشار هذه التفسيرات ما أصاب الامة من ضياع فكري وتمزق اجتماعي وانهيار سياسي جعلها تشعر بالوهن والضعف فيدفعها هذا الشعور بالنقص الى التمرغ على اعتاب المتسلطين واستجداء أفكارهم وتقليد سلوكهم تقليداً أعمى من كون الدين

---

(٣) مستدرك الوسائل، ج٣.
(٤) المصدر نفسه.
(١) المصدر نفسه.

يتعارض مع العلم وأن الاوربيين لم يتقدموا حتى نفضوا عن متونهم ابراد المسيحية وقطعوا صلتهم بالكنيسة.

فتعالوا أنتم أيها المسلمون اعزلوا من أراد الدين أن يكون مكانه المسجد فهو لا يستطيع أن يكون عنصراً فاعلاً في بناء الحياة لا اجتماعياً ولا فكرياً ولا سياسياً، فهو لا هم له إلا الصلاة والصوم والتسبيح.

أما بقية الاحكام كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله والدعوة الى الخير والحق فهي مؤجلة الى اشعارٍ آخر في نظر أصحاب هذا الفهم.

هذا فهم خاطئ لأن العبادة بمعناها الإسلامي في الشامل هي الطاعة لله تعالى، وذلك لا يتحقق بتنفيذ أمر دون أمر ولا بالامتناع عن محرم دون آخر[٢٠].

بل هي العبادة شاملة شمول الإسلام وكاملة كماله، فهي كما تشمل الطاعة التامة في قوله تعالى: ((**وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ**))[٢١]، كذلك تشمل ضرورة الطاعة في قوله تعالى: ((**انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ**))[٢٢].

فالعبادة بمعناها الشامل هي الطاعة لله تعالى في جميع جوانب الحياة الفردية والاجتماعية.

والتقوى كذلك- مفهوم شوهت رؤيته فصارت تقتصر على اعمال شخصية يقوم بها الانسان، قد يتعلق بعضها بملابسهِ وأكلهِ وما إلى ذلك، وهذا المفهوم السلبي للتقوى لا تقره الآيات الكريمة ولا يرتضيه الإسلام، ويكفي دليلاً على ذلك قراءة سورة الشعراء في معان وتدبر لنرى ان الأنبياء حينما كانوا يأمرون بالتقوى كانوا يقرونها بإصلاح الانحرافات الاجتماعية واجتثاث جذور الفساد من مجتمعاتهم.

---

(٢) يشير القرآن الكريم الى هذا الفهم الخاطئ ((**الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ (*) فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ**)). سورة الحجر، الآيات: ٩١ – ٩٢.

(١) سورة البقرة، الآية: ٤٣.

(٢) سورة التوبة، الآية ٤١.

فهذا هود (عليه السلام) يخاطب قومهُ: ((**أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ (*) وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ (*) وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ (*) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ**))[٢٣].

وهذا صالح(عليه السلام)، يقول لقومه محذراً من طاعة الظالمين: ((**فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (*) وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ (*) الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ**))[٢٤].

وهذا لوط(عليه السلام)، وهو يعالج مشكلة اجتماعية وأخلاقية مستشرية في قومه فيقول: ((**أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ (*) وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ**))[٢٥].

أما شعيب (عليه السلام) فكان يدعو الى توحيد الله تعالى وتقواه الى أمر آخر ويحاول أن يقضي ـ على فساد من نوع جديد: ((۞ **أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ (*) وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ (*) وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ**))[٢٦].

وهكذا تقترن مع الدعوى الى التقوى وإصلاح النفس إصلاحات اجتماعية كبيرة يدعو لها الأنبياء (عليهم السلام) لتكون تطبيقات حية لمفهوم التقوى حتى جاءت رسالة الإسلام العظمى تحمل الى جانب الدعوة الى التقوى شريعة كاملة تنظم فيها جميع جوانب الحياة الفردية والاجتماعية وتلتقي في رحابها العقيدة الصالحة مع السلوك المستقيم.

فالتقوى إذاً هي رفقة وشحنة رائعة من الايمان تسيطر على جميع جوانب الحياة الإنسانية فتخلف في الفرد ايماناً مستجداً وعملاً متواصلاً وإيجابية خلاقة تتفاعل مع المجتمع فتحفظ له طريق التحرر لينعم في ظلال الإسلام الوارفة.

يقول الله عز وجل: ((۞ **لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَـٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ**

---

[٣] سورة الشعراء، الآيات ١٢٨ – ١٣١.
[٤] سورة الشعراء، الآيات ١٥١ – ١٥٢.
[٥] سورة الشعراء، الآيات: ١٦٥ – ١٦٦.
[١] سورة الشعراء، الآيات ١٨١ – ١٨٢.

وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ۖ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ))[٢٧].

هذه الآية المباركة قد جمعت الكمالات الإنسانية كلها دلت عليها صراحةً أو ضمناً والكمالات الانسان بكثرتها وتشتتها فهي منحصرة في ثلاثة أمور: صحة الاعتقاد، حسن المعاشرة، تهذيب النفس. فالتقوى بناءً على ذلك تتميز بصفتين:

١- الشمول: شمول لكافة جوانب الحياة حيث انها عنوان السلوك الإسلامي الحي وأعلى مراتب الكمال الإنساني الهادف.

٢- إيجابية: خلاّقة حيث أنّ التقوى تفاعل مع الحياة بشتى جوانبها لتنظيم سيرها وفق القيم والمفاهيم التي رسمها القرآن الكريم وعلى ضوء الصورة السلوكية المثلى التي أراده الله تعالى لعباده.

فقد رويّ أنه لما نزلت الآية الكريمة: **((وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا (*) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ))**[٢٨].

انقطع رجالٌ من الصحابة عن الحياة وانشغلوا بالعبادة، فعلم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، فعاتب ما فعلوه، وقال: (اني لأبغض الرجل فاغرا فاه الى ربه ويقول: اللهم ارزقني ويترك الطلب)[٢٩].

وكان أمير المؤمنين (عله السلام) شديداً على عاصم بن زياد، حينما بلغهُ أن عاصم لبس العباءة وتخلى عن الدنيا. قال عليَّ بهِ، فلما جاء قال: (يا عدي نفسه لقد استهاب بك الخبث، اما رحمت اهلك وولدك – أترى الله احلَّ لك الطيبات وهو يكره أن تأخذها – انت اهون على من ذلك. قال امير المؤمنين هذا انت في خشونة مأكلك. قال: ويحل اني لستُ كأنتَ إنَّ الله فرض على أئمة العدل أن يقدروا انفسهم بضعفه الناس كي لا يتبع بالفقير فقره)[٣٠].

---

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٧٧.
(١) سورة الطلاق، الآيات ٢ – ٣.
(٢) من لا يحضره الفقيه، ج٣، باب كراهة ترك التجارة والكسب.
(٣) نهج البلاغة، المكتبة الإلكترونية.

اذن: التقوى في حقيقتها هي ليست مفهوماً انهزاميا "سلبياً" أو سلوكياً رهبانياً منقطعاً عن الحياة بل هي دافع ذاتي حقيقي لتكامل الانسان المسلم وطاعتهِ لربهِ، ومحرك داخلي لتطبيق شريعة الله تبارك وتعالى في المجال الفردي والاجتماعي، وبناء الفرد المسلم بناءً اسلامياً صحيحاً وإرساء قواعد المجتمع على أسس إسلامية راسخة.

الكلمة الثانية: الاخلاق:

الاخلاق هي مجموعة من الكمالات المعنوية والسجايا الباطنية للإنسان، وللأخلاق دور مهم في سعادة وإصلاح الانسان.

القرآن الكريم يقول: ((**لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ**))[٣١].

ودلالة الآية المباركة واضحة، ان احدى الأهداف المهمة لبعثة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وكذلك الأنبياء السابقين (عليهم السلام) هو تزكية النفوس وتربية الانسان وبلورة الاخلاق الحسنة في واقعه الوجداني، بحيث يمكن أن يُقال: ان تلاوة الآيات وتعليم الكتاب والحكمة التي اشارت اليها الآية المباركة هي مقدمة لمسألة تزكية النفس وتربية الانسان[٣٢].

وهكذا لو راجعنا الأحاديث الشريفة التي وردت عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لرأينا عدداً كبيراً منها أولت مسألة الاخلاق أهمية بالغة.

الحديث معروف ورد عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: (انّما بعثتُ لأتم مكارم الأخلاق)[٣٣].

وجاء في حديث آخر: (انما بعثتُ لأُتمم حسن الأخلاق)[٣٤].

---

(١) سورة آل عمران، الآية ١٦٤.
(٢) الاخلاق في القرآن، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي.
(٣) مستدرك الوسائل، ج١١.
(٤) مستدرك الوسائل.

وجاء في حديث لأمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قال: (لو كنّا لا نرجو جنةً، ولا ناراً ولا ثواباً ولا عقاباً لكان ينبغي لنا أن نُطالب بمكارم الاخلاق فأنها ما تدلُّ على سبيل النجاح)[٣٥].

في حديث عن الامام الصادق (عليه السلام) قال: (إنَّ الله تعالى خصَّ رسوله (ص) بمكارم الاخلاق، فامتحنوا أنفسكم فإن كانت فيكم فاحمدوا الله عز وجل وارغبوا إليه الزيادة منها)[٣٦].

فإذن يستفاد من خلال بعض آيات القرآن الكريم وأحاديث النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والأئمة الأطهار (عليهم السلام) ان الاخلاق تعني التعامل الصحيح الصادق في محورين، والكلام هنا يقع فيهما:

المحور الأول: التعامل الصادق مع العائلة.

المحور الثاني: التعامل الصادق مع المجتمع.

المحور الأول: التعامل الصادق مع العائلة:

من الضروري جداً أن يسود جو الاسرة الخُلق الحسن والتعامل الطيب بين الزوجين، وليس من الصعب والمتعذر التزام فضائل الاخلاق والاحتراز عن قبائحها.

واستخدام الأساليب ذات الخُلق الحسن يُسهّل على المرء السير في طريق حياة سعيدة، ويرسخ الرابطة الزوجية بين الزوجين وتعمق المحبة بينهما ويعتبر درساً عملياً للآخرين، لا سيما أبناء العائلة، بأن يتذوقوا طعم الحياة بكافة جوانبها وتصبح وكأنها أحلى من الشهد المصفّى.

النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: (أقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحسنكم خُلقاً وخيركم لأهلهِ)[٣٧].

---

(٥) ميزان الحكمة، ج١.
(١) امالي الشيخ الصدوق.
(٢) وسائل الشيعة، ج١٢.

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم) في حديث آخر: (أحسن الناس ايماناً أحسنهم خُلقاً، وألطفهم بأهله، وأنا ألطفكم بأهلي)[٣٨].

وجاء في قوله تعالى: ((**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**))[٣٩].

يُستفاد من الآية المباركة بناءً على الرحمة المودعة في قلب كل من الزوج والزوجة يتعين على كل واحدٍ من الزوجين إزاء الاخر أمور:

الامر الأول: عدم الطلب من الطرف المقابل ما يخرج عن الطاعة والقابلية سواء كان في الجانب المادي أو المعنوي لأن فرض ما هو خارج عن حدود القدرة وطلب ما لا يمكن تحمله يعد ظلماً وهو بالتالي مدعاة لحلول العقاب الإلهي.

فأن أراد الزوجان حياة تفوق في حلواتها الشهد المصفى لا مجال فيها لاختلاف يعتد بهِ ولا يتعرض كل من الزوجين الى ما يكدر صفو حياتهِ ولا ينتقل التأزم والمرارة الى الأبناء، فعليهما التسامح، ومراعاة القدرة والقابلية في مسألة الطلبات إزاء بعضهم البعض الاخر في جميع شؤون الحياة الدنيا، وليعلما "الزوجين" أنّ ذلك مدعاة لبلوغ رضى الرب تبارك وتعالى، لأن الرحمة بين الزوجين، هي من رحمتهِ تعالى في الحياة الدنيا.

فالمطلوب من الزوجين هو التحلي باللين والصفاء، وأن يكون مصدر مودة ومحبة، ويتسامح فيما بينهما على كافة أصعدة الحياة، إذ إنَّ هذا التسامح هو باباً من أبواب المعروف، وأنَّ أهل المعروف ومن تطهروا وتطيبوا عن المنكرات روحياً وأخلاقياً، هم من شملتهم عناية الباري تبارك وتعالى، وممن يستحقون الاجر الجميل والثواب الجزيل منه تعالى.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (أول ما يدخل الجنة المعروف وأهلهُ، وأول منْ يرد عليَّ الحوض)[٤٠].

---

(٣) المصدر نفسه.
(٤) سورة الروم، الآية: ٢١.
(١) الكافي - ج ٤ - الصفحة ٢٨

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (كلُّ معروف صدقة)[٤١].

وفي القرآن الكريم قد أكدَّ جلَّ شأنهُ ان ثواب كلّ معروفٍ بعشرة أمثاله: ((**مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا**))[٤٢].

إذاً التسامح هو ضربٌ من المعروف وحسنة من محاسن الروح، ونوعٌ من الصدقات تقابل بعشرة أضعاف من الاجر، فلِمَ لا يبادر الزوجان إلى هذه التجارة الرابحة ويجرمان أنفسهما من هذه النعم الإلهية؟

وحرمان النفس من العناية والنعم الإلهية ظلمٌ فاحش وخسارة لا تُعوض.

الأمر الثاني: الحلم والعفو:

ربما يرتكب الزوج أو الزوجة خطأً تجاه بعضهما البعض، بل ارتكاب الخطأ أمرٌ وارد، طالما لم يكونا معصومين، الانسان المنزه عن الخطأ هو الانسان الكامل وهو المعصوم.

فالحياة الزوجية يشوبها خطأ أحد الزوجين تجاه الآخر، إذ ربما تقع الزوجة في الخطأ أثناء تدبيرها البت، كإعداد الطعام مثلاً ومداراة الأولاد، أو في أداء حق الزوج، وقد يخطأ الزوج أيضاً في سلوكه وتصرفهِ وأخلاقهِ وأسلوبهِ في إدارة البيت، فما كان من الأخطاء يمكن التغاضي عنه والحلم عنه من قبل الطرفين فالتجاوز يكون في محلهِ.

ان الواجب الشرعي والأخلاقي في مثل هذا يُحتّم على الزوج العفو عن زوجته، وكذلك بالنسبة للمرأة، ومن القبيح هنا التشبث بالمكابرة والتعنّت والانانية وعدم الاعتناء بحيثيات الطرف المقابل والتنكر للتعاليم الإلهية، ووصايا الأنبياء والأئمة (عليهم السلام) فيما يتعلق بالعفو والحلم، وذلك فما يعدُّ محرماً في بعض الحالات ويستوجب العقاب الإلهي.

والعفو والحلم من متفرعات الاحسان، والمحسن استناداً للمنطق القرآني يعتبر حبيب الله: ((**وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**))[٤٣].

---

(٢) وسائل الشيعة.
(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٦٠.
(١) سورة آل عمران، الآية ٣٤.

وصاحب العفو والحلم يقع أجره على الله تعالى: ((**فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ**))[٤٤].

الامر الثالث: التغافل:

التغافل من الخصال الحميدة والتي يندر من يتخلق بها بين عامة الناس، فهي من أسمى المزايا وأعظم الخصال الإنسانية التغاضي عن خطأ الزوجة أو خطأ الزوج، خصوصاً في الأمور التي هي من شأنها يقع فيها خطأ في مثلها التغافل أمرٌ مطلوب وممدوح.

يقول أمير المؤمنين (عليه السلام): (لا حلم كالتغافل.. العاقل نصفهُ احتمال ونصفهُ تغافل)[٤٥].

الامام الباقر (عليه السلام) يقول: (صلاح حال التعاشر ملئ مكيال ثلثاه فطنة وثلثه تغافل)[٤٦].

التدقيق والشدة في المحاسبة، وتصور عمق الطرف المقابل بل من جميع الجوانب، وعدم الصفح وتثبيت الأخطاء كل ذلك ينافي الاخلاق ويُعكر صفو العيش داخل الاسرة.

العفو والصفح والأسمى منها التغافل هي من الأمور الضرورية التي لا بدّ للرجل والمرأة التحلي بها، وعن طريق هذه الصفات والخصال الحميدة والأخلاق الفاضلة تهنأ الحياة وتعمها السعادة، وتتمتع الاعصاب بالراحة التامة، ويسلم كل من البدن الروح من الكثير من الأمراض.

الامر الرابع: عدم التفاخر:

ربّما كان الزوج أكثر جمالاً وعلماً الى الحسب والنسب، كأن يكون من عائلة أكثر علماً وأعلى شأناً من الزوجة، وربما كان العكس كأن تكون الزوجة هي أكثر جمالاً وعلماً وأعظم حسباً ونسباً.

الزوجان يجمعهما ميثاق أخلاقي وشرعي، بعد ان ارتضى كلٌّ منهما الآخر ومعرفتهما بأحوال كل منهما قبل الزواج من ناحية الاسرة والثروة والمال والجمال والقبيلة، وأصبحا يعيشان

---

(٢) سورة الشورى، الآية: ٤٠.
(١) ميزان الحكمة، ج٧.
(٢) بحار الانوار، ج٧٥.

حياة مشتركة، يتعين كليهما عند حدوث طارئ أو خلاف أن يتجنبا التفاخر الاسري والمادي وذكر الحســـب والنســـب والثروة والجمال والمال والعلم ، لان ذكر مثل هذه الأمور من شأنها اثارة كوامن النفس والغليان الباطني، ويتسبب في إشعال نار الغضب والحقد والعداء وبالتالي يؤدي الى ردود فعل معاكســـة لدى الطرف الآخر، وغالباً ما ينتهي الامر الى الفرقة والطلاق، وكل ذلك من العواقب الوخيمة الناجمة عن التفاخر.

يقول الامام أمير المؤمنين (عليه السلام): (ضع فخرك وأحطِط كِبرك واذكر قبرَك)[٤٧].

فاذاً ينتفي على كل من الزوج والزوجة تجنب التفاخر بينهما على صـــعيد الاسرة التي ينتمي إليها، والجمال والثروة والعلم، فكلُّ ذلك زائل، وأنّ هذهِ المودة والرحمة، ومدعاة لأثارة الخصام والنزاع والحرمان من رحمة الله تبارك وتعالى.

المحور الثاني: التعامل الصادق مع المجتمع:

أقصد بهذا مداراة الناس، ومداراة الناس، يعني: اللّين واللطف، وحسن المعاشرة مع الناس، القرآن الكريم يقول: ((فَبِمَا **رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّـــوا مِنْ حَوْلِكَ**))[٤٨]، ورســـول الله (ص) يقول: (أمرني ربي بمداراة الناس كما أمرني بأداء الفرائض)[٤٩].

الامام الصـــادق (عليه الســـلام) يقول: (مداراة الناس نصـــف الإيمان، والرفق بهم نصـــف العيش)[٥٠].

أمير المؤمنين (عليه السلام) يقول: (رأس الحكمة مداراة الناس)[٥١].

اليوم نحن بحاجة لمداراة الناس، لكي تعم المحبة والألفة بين افراد المجتمع.

---

(١) ميزان الحكمة، ج٧.
(٢) سورة ال عمران، الآية: ١٥٩
(٣) ميزان الحكمة.
(٤) ميزان الحكمة.
(٥) عيون الحكم والمواعظ

اليوم للأسف الشديد أصبحتْ حالة الكراهية والبغضاء بين افراد المجتمع أكثر من حالة المحبة والتعاون، وهذه الحالة للأسف موجودة حتى عند أبناء المذهب الواحد، وهذا خُلق بعيد عن روح الإسلام تماماً.

ورد عن عبد العظيم الحسني قال: قال لي الامام الرضا (عليه السلام): (ألا أبلغ عني أوليائي عني السلام وقل لهم أن لا يجعلوا للشيطان على أنفسهم سبيلا، ومرهم بالصدق في الحديث وأداء الأمانة، ومرهم بالسكوت وترك الجدال فيما لا يعنيهم وإقبال بعضهم على بعض والمزاورة فإن ذلك قربة إلي. ولا يشغلوا أنفسهم بتمزيق بعضهم بعضا، فإني آليت على نفسي أنه من فعل ذلك وأسخط وليا من أوليائي دعوت الله ليعذبه في الدنيا أشد العذاب وكان في الآخرة من الخاسرين...)[٥٢]

لاحظ كيف انّ أهل البيت (عليهم السلام) يشددون على وحدة المجتمع وعدم تفريقه، وخصوصاً المجتمع الذي ينتمي بالولاء لهم (عليهم السلام).

(١) الاختصاص للشيخ المفيد

المصادر

١. القرآن الكريم.
٢. كتاب الكافي.
٣. وسائل الشيعة.
٤. نهج البلاغة.
٥. عيون الحكم والمواعظ.
٦. ميزان الحكمة.
٧. الأخلاق في القرآن الكريم، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي.
٨. من لا يحضره الفقيه.
٩. مستدرك الوسائل.
١٠. امالي الشيخ الصدوق.
١١. بحار الانوار.
١٢. الاختصاص للشيخ المفيد.